طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

سناء ثابت وشراع القدر من الترجمة إلى الصحافة المغربية فالاحتراف في المهجر

الوصول إلى «زهرة الخليج» والدفاع عن المغربيات بالمشرق

على الرغم من أن سناء ثابت ما تزال صحافية شابة، فإنها استطاعت بسرعة أن تتخطى المراحل، وتقفز من مدرسة الترجمة إلى الصحافة بالبلد ثم الخليج حيث تخط مسارا مهنيا احترافيا ناجحا. تقول عن اختياراتها إن الخير في ما اختاره الله، وها هي من "الأحداث المغربية" إلى "المساء" إلى "زهرة الخليج" تصرف قدرها بالكثير من الافتخار بمغربيات الخليج.

حاورها: مصطفى منصور mansour.most@gmail.com

سناء ثابت مع صاحب الجلالة محمد السادس خلال زيارته لأبوظبي

حصلت على الإجازة من كلية الآداب وبعد ذلك دبلوم الترجمة في معهد الملك فهد بن عبد العزيز بطنجة، هل كنت تعدين نفسك للصحافة؟

■ بصراحة، لا. كنت فقط أتجه إلى دراسة التخصصات التي تستهويني أو التي أتفوق فيها دون تخطيط معين. وكنت ومازلت أؤمن دائما بأن الخير في ما اختاره الله. اتجهت لدراسة اللغة الإنجليزية كتخصص منذ السنة الأولى ثانوي، وأذكر أنه عند حصولي على الباكالوريا آداب تخصص لغات كان ترتيبي الأولى في شعبة الآداب على مستوى أكاديمية الجهة. واصلت دراسة اللغة الإنجليزية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق. اجتزت بنجاح مباراة ولوج مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة. كان هدفي أن أتخصص أكثر في الترجمة وأحصل على دبلوم مهني يسهل لي الاندماج في سوق العمل.

كان الشغف أولا بالترجمة، فكيف انتقلت منها إلى عالم صاحبة الجلالة؟

■ الحقيقة أن آفاق العمل المفتوحة في وجه خريجي مدرسة الترجمة واسعة جدا، خاصة على مستوى المنظمات الدولية والصحافة والإعلام، وقد كنا فخورين بالزملاء الذين سبقونا للعمل في منابر معروفة مثل «البي بي سي» وقناة «الجزيرة» وغيرهما.

فتحت لي نافذة على عالم الصحافة في نهاية السنة الأولى من دراستي بمدرسة الترجمة، عندما قبلت كمترجمة متدربة في جريدة «الأحداث المغربية» صيف عام 2002، وأدين بالفضل في هذه الخطوة للأخ رشيد بوزيت الذي ساندني وشجعني كثيرا حينها. فكانت جريدة «الأحداث المغربية» مدرستي الأولى، ومن خلال قسمها الثقافي بإشراف الزميل لحسن وريغ والزميل سعيد الشطبي تم نشر أول مادة موقعة باسمي.

بعد الدراسة اشتغلت في صحف مغربية قبل الانتقال إلى الخارج، كيف كانت أيام العمل في جرائد الدار البيضاء؟

■ من أجمل أيام حياتي المهنية تلك التي قضيتها في «الأحداث المغربية»، كان جو العمل في هذه الجريدة، تحت إدارة الأساتذة محمد البريني آنذاك وعبد الكريم الأمراني في فترة أولى ثم المرحوم محمد مؤيد، كان جوا عائليا سادت فيه المحبة والاحترام والإيثار، كنا أسرة واحدة، صحافيين وتقنيين وإداريين. وكان نجاح أحدنا نجاحا للجميع.

كنت أعمل في «الأحداث المغربية» في الفترة التي تلت تفجيرات 16 ماي الإرهابية بالدار البيضاء، ثم تفجيرات حي الفرح والتفجير الذي تم أمام دار أمريكا، ونظرا للتغطية عن قرب التي قدمتها «الأحداث المغربية»، ونظرا لمكافحتها للفكر الظلامي منذ بدايتها، فقد كانت الجريدة تتلقى تهديدات بتفجير مقرها، وكان «الطرد المفخخ» دائما موضوعا لإثارة الذعر أحيانا وللفكاهة أحيانا أخرى داخل صالة التحرير.

لا يمكن أن أفتح صفحة تجربتي في «الأحداث» دون أن أتذكر الأخ والزميل المختار لغزيوي الذي سهل انتقالي من قسم الترجمة إلى العمل معه في قسم أخبار الفن والإعلام. وأذكر عندما أرسلني الزميلان لحسن وريغ والمختار لغزيوي في أول تغطية صحفية لي لمؤتمر صحافي للفنانة العالمية لارا فابيان وطلبا مني تغطية المؤتمر فحسب، وقالا لي حبذا لو تجيبك هذه الفنانة على سؤالين أو ثلاثة لتطعيم تغطيتك الصحافية، إلا أنه بتوفيق من الله استطعت أن أحصل من لارا فابيان على حوار كامل، حيث استقبلتني في جناحها الخاص فقط أنا والزميلة نادية لارغيت عن برنامجها آنذاك «مئة بالمئة شباب»، فعدت من مهمتي الأولى ومعي حوار فني يعتبر «انفرادا». كان نصرا صغيرا ربما، لكنه شكل لي الكثير آنذاك، لأنه جعلني أشعر بلذة السبق الصحفي ومدني بالثقة بالنفس وجعلني أعرف قيمة أن يكون الصحفي ملما باللغات الأجنبية.

من خلال جريدة «الأحداث المغربية» غطيت مهرجانات فنية كبرى، منها مهرجان مراكش الدولي للفيلم ومهرجان كناوة وموسيقى العالم ومهرجان موازين ومهرجان إملشيل ومهرجانات كثيرة وطنية وبعضها دولية، ومن خلال «الأحداث المغربية» أجريت حوارات مع فنانين كبار مثل كاظم الساهر وهالة صدقي وعزت العلايلي وأصالة ونجوى كرم والشاب خالد والشاب بلال وهيفاء وهبي وآخرين عالميين مثل المخرج الكبير مارتن سكورسيزي وغيره، كما كنت عدة مرات عضوا في لجنة تحكيم بعض المهرجانات السينمائية، بالإضافة إلى هذا وذاك، غادرت تجربة «الأحداث المغربية» بصداقات مازالت مستمرة إلى الآن.

المحطة الثانية في حياتي المهنية بالمغرب كانت جريدة «المساء» ومجلة «نجمة»، وقد تشرفت فعلا بالعمل تحت إشراف الزميلين توفيق بوعشرين ورشيد نيني، كانا يمثلان بالنسبة لي مدرسة مختلفة قليلا عن مدرسة «الأحداث المغربية». في «المساء» لم أعمل فقط بالصحافة الفنية والتلفزيون، بل غطيت أيضا بعض الأحداث السياسية والاقتصادية وحتى الرياضية أحيانا.

ترجمت مجموعة من الكتب السياسية من اللغة الإنجليزية إلى العربية نشرت في حلقات. ولا يفوتني أن أنوه بالمستوى الراقي للزملاء بجريدة «المساء» آنذاك دون استثناء، وخاصة حكيم عنكر والمصطفى أزوكاح والسي محمد الراوي وسعاد رودي وحميد زيد وآخرين كثر.

رغم الانفتاح على مجالات أخرى، بقي الاهتمام بعالم الفن، كيف تنظرين إلى المهرجانات الفنية التي كنت تغطينها في المغرب؟

■ لقد توقفت تقريبا منذ 6 سنوات عن تغطية المهرجانات الفنية المغربية، ما عدا كوني غطيت مرة واحدة مهرجان أصيلة الثقافي لصالح مجلة «زهرة الخليج» ومرتين حضرت مهرجان كناوة ومهرجان الدار البيضاء بشكل شخصي في عطلتي السنوية. لكن أود أن أقول إن الصدى الطيب للنشاط الثقافي والفني للمغرب يصل إلى الإمارات بشكل مشرف جدا بفضل هذه المهرجانات. أسمع في الامارات بين الفينة والأخرى عن ممثلات مشرقيات مستعدات لدفع أموال من أجل الحصول على دعوة لمهرجان مراكش الدولي للفيلم، وعن فنانين يتفاخرون بدعوتهم لمهرجان موازين، وأستغرب لمن يدعو إلى توقيف هذا المهرجان أو ذاك، فمهما كان موقفنا ممن يقف وراء المهرجان، يجب أن نعرف أن المهرجانات الفنية قيمة ثقافية حقيقية ومكسب كبير للمغرب ينبغي الحفاظ عليه.

الدول المتقدمة تدفع لشركات ضخمة في العلاقات العامة والتواصل الاستراتيجي من أجل إظهارها في صورة البلدان المتفتحة والمتسامحة والمثقفة، في حين نحن في المغرب لسنا بحاجة إلى ذلك لأن لدينا حركة ثقافية قوية وغنى فلكلورنا وحب شعبنا للموسيقى والفنون أكبر محفز للسياحة، بالإضافة إلى نعمة الأمن والأمان التي يحظى بها المغرب. بل على العكس، يجب أن تضاف إلى هذه التظاهرات مهرجانات أخرى في فنون الطبخ وفي العلوم وفي الشعر العربي، ونتمسك بحبنا للحياة على أرض المغرب لأن هذه هي أفضل وسيلة لمكافحة الظلامية والجهل.

سنة 2008 ستختارين التحليق في أجواء الخليج العربي، ما الدوافع التي حدت بك إلى الانتقال إلى الإمارات العربية المتحدة؟

■ ربما لا يمكننا دائما أن نعلن عن الأسباب التي تجعلنا نتخذ بعض القرارات، لأن هذه الأسباب لا تتعلق بنا لوحدنا، إذ لا يمكن الحديث عنها دون ذكر الأطراف الأخرى، لكن ومع ذلك يمكنني أن أقول لك إن الدافع الأكبر وراء قرار مغادرتي الصحافة المغربية كان هو الطموح والرغبة في التغيير واكتشاف المجهول. في عام 2008 زرت مدينة دبي في إطار رحلة عمل صحفية، وهناك وجدت دولة الإمارات وأهل دولة الإمارات في صورة أجمل بكثير مما تنقله لنا وسائل الإعلام الباحثة عن الإثارة ورفع أرقام المبيعات، لكني لم أسع في حينها إلى البحث عن عمل هناك. وبعدها بأشهر قليلة بعثت لي صديقة عبر الإيميل إعلانا عن طلب توظيف صحافي مترجم بجيد الإنجليزية والفرنسية وله خبرة سنوات في الصحافة، تواصلت مع المؤسسة وبعد شهرين وجدت نفسي في الإمارات من جديد. والحقيقة أن ما شجعني على اتخاذ هذه الخطوة هو الرحلة التي كنت قد قمت بها إلى دبي وقابلت فيها الأخ الرائع أنس بوسلامتي، كنت خلال هذه الرحلة قد أنجزت استطلاعا حول الكفاءات المغربية بالإمارات، ومن خلال أنس بوسلامتي التقيت بعدد من الزملاء المحترمين ومن الكفاءات المغربية في

سناء ثابت وأنس بوسلامتي في صباح العربية

مجالات السياحة والمال والأعمال والترجمة والقانون الذين تركوا أوربا وكندا واختاروا الاستقرار في الإمارات مع زوجاتهم وأطفالهم. كما شجعني أيضا وجود الكثير من الزملاء المترجمين الذين أعرفهم منذ أيام الدراسة والصحافيين المغاربة بمؤسسة أبوظبي للإعلام وأبوظبي.

← ماذا كان موقف أسرتك من هذا العمل الجديد خارج المغرب وفي دولة من دول الخليج؟

■ والداي وأسرتي، حفظهم الله، يحترمون قراراتي، لأنهم يعرفون أنها مبنية على منطق معين، ولا يميزون في المعاملة بين الذكر والأنثى. وطبعا بعد سنوات الدراسة في طنجة، حيث كنت أقيم في سكن جامعي، وعملي كصحافية لمدة أربع سنوات في المغرب وما كان يقتضيه ذلك من سفر، أصبح والداي مطمئنين تماما على قدرتي على التأقلم وعلى الاعتناء بنفسي. وأنا أدين لأهلي، بعد الله سبحانه، بالفضل كله في أي نجاح حققته، لأن ذلك لم يكن ليتأتى لي دون تضحيتهم ودعواتهم. كما يعود الفضل في استمراري في مجال الصحافة لزوجي الذي يدعمني ويشجعني دائما.

← ستحطين الرحال بإحدى أكثر المجلات النسائية شهرة في العالم العربي «زهرة الخليج»، كيف وجدت العمل في هذا المنبر الإعلامي؟

■ يتميز العمل في مجلة «زهرة الخليج» بالكثير من الاحترافية والدقة، كما يعتمد مبدأ التخصص، حيث لكل واحد منا مجاله الذي يبرع فيه ولا يمكن أن يتعداه. لكن العمل في مجلة أسبوعية يفرض مستوى عاليا من الجودة والعمق في معالجة المواضيع المطروحة، لأنه لا يمكن التذرع بضيق الوقت. أيضا العمل في مجلة «زهرة الخليج» يشكل تحديا كبيرا لأنها مجلة عريقة تبلغ من العمر هذه السنة 35 عاما، ولها اسمها المكتوب بحروف من ذهب عبر ثلاثة أو أربعة أجيال، وتمثيلنا لهذه المجلة يعتبر أمانة ثقيلة ومشرفة في آن. زد على ذلك أن تمثيلي للمغرب داخل المجلة وداخل مؤسسة أبوظبي للإعلام يعد مصدر اعتزاز لي.

← ما هي الصعوبات التي واجهتك في البداية؟

■ بكل صراحة، عدا افتقاد دفء الأسرة والأصدقاء وخاصة في المناسبات والأعياد، فإني لم أواجه أية صعوبات منذ قدومي إلى الإمارات إلى الآن. نحن في بلد عربي ومسلم نتكلم لغتنا العربية ونسمع الأذان في أوقاته. وشعب الإمارات شعب محترم وطيب يصون للمرأة حرمتها. بل يمكنني أن أقول إن أفضل ما يميز الإمارات هو الأمان والأمانة والانفتاح الكبير على الثقافة الغربية.

سناء في تكريم نادي وريدة للأمهات

← ما هي أقوى اللحظات التي عشتها في بلاد الخليج؟

■ على المستوى المهني، معنى اللحظات القوية يختلف من شخص إلى آخر، فإن كان معناها أقوى المواضيع التي أنجزتها أو السبق الصحافي الذي حققته، فإن من أقوى اللقاءات لقائي مع الممثلة الكبيرة الحائزة على الأوسكار جين فوندا، وآخر مع الممثلة الجميلة وسفيرة علامة كارتيي مونيكا بيلوتشي، وأيضا لقائي مع الفنان الكبير بين كينغسلي. لكن إن كنت تقصد لحظات تعرضت فيها للخطر أو لحظات مهنية هزتني عاطفيا، فلم تكن هناك أية لحظات قوية، لأنني كصحفية في مجلة للمرأة والأسرة أعمل في جو من الرفاهية يجعل أنه لا يحق لي أن أتبرم، إذا ما قورن وضعي مع أوضاع زملاء يعملون في مناطق تشتعل فيها حروب أو تنشط فيها جماعات إرهابية.

على المستوى الشخصي، كان لقائي بصاحب الجلالة الملك محمد السادس خلال إحدى زياراته لأبوظبي، شرفا كبيرا لي، وأثلج صدري سؤاله لي عن طبيعة عملي وظروف اشتغالي وتعبيره عن فخره بي كمواطنة مغربية وبجميع الكفاءات المغربية في الإمارات. كما تأثرت كثيرا لوفاة جدتي رحمها الله، خاصة أني لم أستطع السفر إلى المغرب لأني كنت في أشهر الحمل الأولى.

← في فترة معينة، كانت تواجه المغربيات المقيمات بالإمارات والخليج عموما نظرة «سيئة» التصقت بهن ولا تعكس واقع حال عدد منهن، هل ما زالت هذه النظرة موجودة؟ وكيف تعاملت مع الأمر؟

■ المؤسف في الأمر هو أن هذه النظرة أو الصورة النمطية التي تتحدث عنها، وهي نظرة ظالمة ومتساهلة، من ألصقها بمغربيات الخليج هم بعض المغاربة أنفسهم، وأقول البعض وليس الكل، أما أهل الخليج، أو على الأقل من عرفتهم منهم، فهم يعرفون كيف يقدرون المغرب أرضا وشعبا وثقافة وتاريخا حق قدره، وقد زاروا المغرب وعاشروا أسرا مغربية وعرفوا معنى العفة والكفاف والشرف لدى المغاربة. هم يعرفون أن المرأة المغربية في الإمارات موجودة كأم وزوجة وربة بيت، وموجودة في الشرطة الإماراتية وموجودة في مراكز الإرشاد الديني وموجودة في مدارس تعليم السواقة... نحن مغربيات الخليج ينطبق علينا قول الشاعر «ولظلم ذوي القربى أشد مضاضة ...». بمقابل هذه النظرة الجائرة نجد أن المرأة «الأجنبية» المفضلة لتكون زوجة ومربية للأجيال لدى عدد كبير من الخليجيين والمشارقة هي المرأة المغربية. فالمرأة الخليجية رغم أناقتها وأنوثتها وقوة شخصيتها تجدها تستوحي من المرأة المغربية لباسها التقليدي وحمامها المغربي ووصفات جمالها الطبيعية.

لا أعتبره أهلا لتقييم نوعية المغربيات في الخليج من جاء (أو جاءت) إلى الامارات وقضى بها بضعة أسابيع بين الفنادق والملاهي الليلية مع شباب من خلفيات لا تمت بصلة لعروبتنا ولا لديننا، وإنما من يمكن أن ينقل للمغاربة صورة المرأة المغربية في الخليج هو ذلك الذي عاش في الإمارات سنوات ودخل مستشفياتها ودرس أولاده في مدارسها وعايش ربات البيوت المغربيات في أسواقها وحضر حفلات تخرج الطلبة والطالبات وعرف من هن الأمهات المغربيات اللائي كن وراء تخرج هؤلاء. عن نفسي لم أتعرض يوما لأي مضايقة أو أي تلميح من أي شخص عربي أو خليجي بسبب جنسيتي، بل على العكس، كنت ألمس منهم نظرات الاحترام للمغرب بنسائه ورجاله وملكه، بل إني أفاجأ بأصدقاء لبنانيين أو مصريين مثلا يعلنون عن رغبتهم في أخذ أبنائهم والاستقرار بعد التقاعد بالمغرب. ولكن حز في نفسي موقف لا أنساه. لدي صديقة مغربية تشغل منصبا مرموقا في دبي، وهي متزوجة من رجل مشرقي، ولها طفلة في المدرسة الابتدائية كانت مسجلة في المدرسة بجواز سفرها المغربي، والحقيقة أنه عندما أثارت الجريدة الالكترونية «هسبريس» موضوع الإساءة التي تعرضت لها مغربيات الخليج على أمواج إحدى الإذاعات الوطنية من قبل مذيع الحلقة وضيفته (والتي على إثرها أصدر نادي وريدة بيانا استنكاريا عممناه على الصحافة المغربية)، قرأ هذا الأب المشرقي على صفحات «هسبريس» تعليقات القراء بلهجتنا المغربية على الموضوع، والتي كانت تصب معظمها في اتجاه المغربيات «فاعلات وتاركات» و«شوهونا» ... فما كان من هذا الأب إلا أن ذهب في اليوم التالي إلى المدرسة وسجل الطفلة في المدرسة بجواز سفرها المشرقي بجنسية والدها بعد أن كانت مسجلة في المدرسة بجواز سفرها المغربي وجنسيتها المغربية. وعلق هذا الأب على الموضوع قائلا «لا أريد أن تكبر ابنتي وتكون عرضة للشتائم والإهانة بسبب جنسية أمها ومن أشخاص يفترض أنهم أهلها»، وأضاف «في بلدي لا يقوم الرجل بالتشهير ببنات بلده لأن شرفه جزء من شرفهن».

← كيف إذن جاءت فكرة تأسيس نادي وريدة للسيدات المغربيات بالخليج؟

■ نادي وريدة هو مجموعة مغلقة في الفيسبوك، لا تلجها إلا السيدات المغربيات المقيمات بالضرورة في إحدى دول الخليج العربي الست، كان عدد عضواتها في البداية عندما فتحنا هذا الفضاء الافتراضي حوالي 12 مغربية، ثم بدأت كل واحدة منهن تدعو صديقاتها من المغربيات في الخليج إلى المجموعة على الفيسبوك، إلى أن أصبحنا اليوم حوالي 750 عضوة في هذا النادي الافتراضي. وبفضل دعم سفير جلالة الملك بالإمارات السيد محمد أيت وعلي، هذا الرجل المثقف والعاشق لبلده، وتشجيعه الدائم لنا ماديا ومعنويا، ومجهود بعض العضوات الغيورات على اسم المغرب، نجح نادي وريدة على مدى ثلاث سنوات في إقامة بعض الأنشطة الاجتماعية والمبادرات الإنسانية التي كان لها صدى طيب في وسائل الإعلام الخليجية، كما ساعدنا بفضل رعاية السفارة المغربية في أبو ظبي حالات عديدة من النساء في وضعية صعبة، وخاصة المطلقات والأمهات صاحبات قضايا الحضانة في المحاكم. ومن خلال هذا التجمع الافتراضي خلقت «الوريدات» جوا مغربيا صرفا، وقضين على أي إحساس بالغربة، كما كانت هذه المجموعة وما تزال ملتقى لمغربيات الخليج بمختلف مشاربهن ومهنهن وخلفياتهن... وكلهن مغربيات يفخرن بمغربيتهن التي يحاول المستهترون تدنيسها.

سناء ثابت مع الشاب خالد